الجمهورية الإسلامية في إيران .. إسمٌ على مسمّى

المكان: طهران

المناسبة: صلاة الجمعة

الحضور: جموع غفيرة من المصلين

الزمان: ١٣٦٩/١/١٠هـ.ش ١٤١٠/٩/٣هـ.ق ٣٠ /٣/ ١٩٩٠م

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوكل عليه؛ ونصلّي ونسلِّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين لاسيما بقية الله في الأرضين.

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[1].

---

(١) البقرة: ١٨٣.

شهر رمضان، عيد المسلمين الأكبر

إن حلول شهر رمضان المبارك يمثل في الحقيقة عيداً كبيراً بالنسبة للمسلمين، وحريٌ بالمؤمنين تبادل التهاني لحلول هذا الشهر والتواصي بالاستزادة منه لأنه شهر ضيافة الله؛ ففي هذا الشهر يتربَّع المؤمنون والمؤهلون لدخول هذه الضيافة وحدهم على المائدة التي أعدَّها الخالق الكريم المنّان، هذه المائدة تختلف عن مائدة الكرم الإلهي العام التي تتنعم بها البشرية بأسرها بل مخلوقات الكون قاطبة، إنها مائدة الخواص والضيافة التي أعدها الباري تعالى لخاصته.

ورد جانب من المسائل المهمة المتعلقة بهذا الشهر في ذيل الآية المتقدمة وما تلتها من آيات في سورة البقرة، وسأتناول في هذه الخطبة نُتَفاً منها.

بدءاً يقول تعالى ﴿كُتب عليكم الصيام كما كتُب على الذين من قبلكم﴾. وإننا نعلم أن الصلاة والزكاة ليستا حكراً على المسلمين بل إنهما كانتا في مقدمة أحكام الأنبياء الذين سبقوا الرسول الأكرم ﷺ ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً﴾[1] وذاك ما أدلى به عيسى عليه السلام لمن كان يخاطبهم، كما يستفاد هذا المعنى أيضاً من آيات قرآنية أخرى، والآية المتقدمة التي تلوتها تؤكد: إن الصيام شأنه كالصلاة والزكاة ليس من الأحكام المقصورة على المسلمين بل هو كان قد كُتب على الأمم الغابرة والأنبياء السالفين أيضاً.

---

(١) مريم: ٣١.

وهذا يؤكد حقيقة مفادها: مثلما الصلاة ضرورية لبناء الحياة المعنوية للناس في كل زمان، وهذه الصلاة تمثل الآصرة المعنوية بين الإنسان وربّه؛ ومثلما أن الزكاة ضرورية وهي تزكية الإنسان مالياً؛ فإن الصيام واجب وضروري أيضاً وهو يمثل واحداً من الدعائم الأساسية لتكامل الإنسان وسموّه المعنوي، وإلاّ فإن هذا الخط لن يرى الثبات والاستمرارية مع مرور الزمان وتغير الديانات.

إن للصيام صوره المتعددة في مختلف الأديان والأعصار بيد أن تحّمل الجوع والمحافظة على البطن خالية من الطعام وكمّ الشفة واللسان والفم عن التمتع باللذائذ البدنية لساعات معدودة، هي ميزة تطبع الصيام المألوف في جميع الأديان على اختلافها. إذن الصيام ركنٌ أساسي في رقي الإنسان معنوياً وتكامله الروحي وهدايته وتربيته.

الصيام سُلَّم لبلوغ التقوى

ثم يقول تعالى ﴿لعلكم تتقون﴾، أي إن هذا الصيام سُلَّم نحو التقوى ووسيلة لترسيخها في أفئدتكم وأرواحكم، والتقوى تعني دوام مراقبة الإنسان لأعماله وتصرفاته ما إذا كانت مطابقة لأمر الله ورضاه أم لا؛ وحالة المراقبة هذه والورع والحذر الدائمي هي التي يطلق عليها التقوى.

والحالة التي تعاكس التقوى هي الغفلة والإهمال والتحرك بلا بصيرة؛ وإن الله سبحانه لا يرتضي للمؤمن أن تستحوذ عليه الغفلة فيما يتعلق بشؤونه

الحياتية، بل على المؤمن أن يتحلى باليقظة والوعي، وفائدة هذه اليقظة والوعي والحذر على صعيد شؤون الحياة بالنسبة للإنسان تتمثل في احترازه بأن لا يكون العمل الذي يقوم به مخالفاً للإرادة الإلهية ومنهجية الدين ومبتغاه، وإذا ما تبلورت لدى الإنسان هذه الحالة من المراقبة بحيث ينسجم قوله وفعله وسكناته وقيامه وقعوده وكل خطوة يخطوها وتصرف يُقدم عليه مع الخط الذي رسمه الله تعالى؛ فإن تلك الحالة من التيقظ والحيطة والنباهة عند الإنسان تسمى التقوى؛ والمراد من التقوى أن يعيش الإنسان حالة دائمة من الحذر والخشية، وهذه هي فائدة الصيام.

لو تحلّى قومٌ أو فردٌ من الناس بالتقوى فإن خيرات الدنيا والآخرة ستنهال عليه؛ فلا تنحصر فائدة التقوى على نيل رضا الله ودخول الجنّة في الآخرة، بل إن الإنسان يلمس فائدتها في الدنيا أيضاً؛ والمجتمع الذي تزينه التقوى، والمجتمع الذي يختار سبيل الله عن تمعنٍ ويسلكه عن تمعنٍ أيضاً سيكون نصيبه التنعم بالمواهب الإلهية في الدنيا ويظفر بالعزة الدنيوية ويمنحه الله العلم والمعرفة على صعيد الشؤون الدنيوية أيضاً، والمجتمع الذي يسلك طريق التقوى تكون أجواؤه سليمة مفعمة بالمحبة ويكلله التعاون والتلاحم بين أبنائه.

التقوى أول وآخر ما أوصى به الأنبياء

التقوى مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة، والبشرية الضالة التي تئن من شتى صنوف الشدائد والآلام على الصعيدين الفردي والاجتماعي إنما هي تتجرع عاقبة عدم التزامها بالتقوى واللاأبالية والانغماس في مستنقع الشهوات

الذي أعدّته بيديها، ومعلومٌ حال المجتمعات المتخلفة. إما المجتمعات المتطورة فإنها وإنْ بلغت السعادة في بعض الجوانب نتيجة تحلّيها باليقظة والوعي في بعض مجالات الحياة، فإنها تعاني نقصاً وفراغاً قاتلاً وهذا ما يبوح به كتّابهم وخطباؤهم وفنانوهم بعشرات الأساليب.

التقوى هي أول وآخر ما أوصى به الأنبياء؛ وإننا نقرأ في مختلف السور القرآنية أن أول ما يخاطب به الأنبياء أقوامهم هي التوصية بالتقوى، فإن سادت التقوى سادت معها الهداية الإلهية وإلاّ فإن الفرد والمجتمع لن ينالا نصيبهما كاملاً من الهداية الإلهية. والصيام مقدمة لهذه التقوى.

وفي إحدى آيات سورة الحديد يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾[1] ؛ فالتقوى مدعاة لأن ينير الله سبحانه أفئدتكم وحياتكم وطريقكم كي يتيسر لكم وفي ظل هذا النور التحرك وطي طريق الحياة. إن الإنسان عاجز عن التحرك ضالاً. ومن المتعذر أن تتحقق الحركة الإنسانية دون معرفة للهدف والمرام، والنور الذي يدلّنا على الهدف والمآل والطريق هو ذلك النور المنبثق عن التقوى، فالتقوى هي وصية الأنبياء جميعاً.

أوصيكم أيها الأخوة والأخوات المصلين بأن تجعلوا التقوى فرضاً عليكم في جميع شؤون حياتكم. ولحظاتها؛ لاسيما أولئك الذين يتحملون مسؤولية مضاعفة، فبالرغم من أن الجميع مسؤولون في مجتمعنا الإسلامي بيد أن

---

(١) الحديد: ١٠.

المسؤولية كلما تضاعفت وازداد العبء ثقلاً تضاعفت الحاجة للتقوى وزادها ومتاعها؛ وعلى الذي ينهضون بعبء المسؤولية في المجتمع أن يضاعفوا من زاد تقواهم ليعلموا ما هم صانعين وليدركوا ما إذا كان قولهم وعملهم مدعاة لرضى الله أم لا؟ وليتخذوا من ذلك معياراً وملاكاً لهم؛ فتالله لئن اعتصمنا بالتقوى لن تفلح أعتى القوى المادية في حرفنا عن الطريق القويم الذي نسلكه قيد أنملة.

بالدعاء ينشط المجتمع ويتفاعل

اغتنموا شهر رمضان، وأحيوا هذه الأيام والليالي بالذكر والدعاء؛ فهذا شهر رمضان المبارك هو موسم الدعاء، وإن كان على الإنسان أن يكون دائم الاتصال بالله سبحانه عن طريق الدعاء؛ بيد أن الآية ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ﴾[1] الواردة في سياق هذه الآيات التي تتضمنها سورة البقرة إنما هي عائدة للصيام وشهر رمضان، فهي قد وردت في ثنايا آيات الصوم التي تتحدث عن شهر رمضان لتحض الناس جميعاً وعباد الله وتوجههم نحو الدعاء.

إن آصرة الدعاء هي آصرتكم القلبية التي تشدكم إلى الله سبحانه، والدعاء معناه الطلب من الله ومناجاته. والطلب يعني الرجاء، ولولا رجاؤكم ما طلبتم من الله شيئاً فالمحبط هو الذي لا يطلب شيئاً. إذن الدعاء يعني الرجاء الملازم للإجابة، وهذا الأمل بالإجابة يلهب القلوب وينورها، وبفعل الدعاء ينشط المجتمع ويتفاعل.

---

(١) البقرة: ١٨٦.

الأنس بالقرآن يرسخ المعرفة الإسلامية في عقولنا

وهذا الشهر هو أيضاً ربيع القرآن، والأنس بالقرآن ينّمي المعرفة الإسلامية في أذهاننا ويعّمقها، وما الشقاء الذي تعانيه الشعوب الإسلامية إلاّ إفراز لبعدها عن القرآن وحقائقه ومعارفه؛ ومعلوم حال المسلمين الذين لا يستوعبون معاني القرآن ولا أنس لهم به، حتى إن أولئك الذين لا يفهمون القرآن وهو نازلٌ بلغتهم إنما ذلك بسبب عدم تدبّرهم بآيات القرآن فلا يكادون يعرفون حقائقه ولا هم يأنسون به. إنكم تتمعنون الآية ﴿لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾[1]. إنها تعني أن الله لا يجعل المؤمنين أذلاء صاغرين تحت نير الكافرين؛ وهي تُتلى من قبل العرب في البلدان العربية لكنهم لا يعملون بها. فليس ثمة تنبه أو تدبر أو إمعان في آيات القرآن الكريم. لذلك فقد أصاب التخلف البلدان الإسلامية.

الأنس بالقرآن معناه تلاوة القرآن والإمعان في تلاوته وتدبر مفاهيمه واستيعابها، وبمستطاع الناطقين بالفارسية الاستعانة بالترجمة القرآنية وفهم كلماته بشكل تقريبي وإدراك مضامين الآيات القرآنية والتأمل والتمعن فيها، فلو تأملنا بآيات القرآن الكريم إذ ذاك ستتنامى فينا الإرادة والاستقامة وتزداد، فالآيات القرآنية هي التي كان لها الدور في تربية الذين نهضوا لمقارعة عالم الكفر والظلام عبر التاريخ، وهذه هي المعارف التي حرّكت شعبنا العظيم وعبَّأته لمواجهة العالم المتحضر حالياً بظلامه وجاهليته ـ جاهلية القرن

---

(١) النساء: ١٤١.

العشرين ـ وكلّنا أملٌ في أن يزداد شعبنا قرباً في القرآن والحقائق القرآنية.

اللهم إنا نسألك بأوليائك أن تجعل شعبنا بأجمعه ممن تشملهم بركات هذا الشهر؛ اللهم اجعلنا ممن تنعموا خلال هذه الأيام والليالي المباركة بهذه الآيات المباركات، واجعلنا اللهم من المتقين الأبرار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين سيما عليّ أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنة؛ وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف القائم المهدي، حججك على عبادك وأمنائك في بلادك، وصلِّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين. أوصيكم عباد الله بتقوى الله.

خيار الأمة؛ الإسلام والحكومة الإسلامية

الموضوع الذي سأتطرق إليه في الخطبة الثانية موضوع قصير يتعلق بمناسبة حلول يوم الثاني عشر من فروردين ـ يوم الجمهورية الإسلامية ـ ذلك اليوم أطلت على الدنيا حكومة تحمل هذا العنوان وهذه المزايا.

إن الجمهورية الإسلامية من حيث المعنى اللفظي تقدم على دعامتين، إحداهما جمهور الأمة أي جماهير الشعب وأبناء الوطن؛ فهؤلاء هم الذي يقررون مصير إدارة البلاد والمؤسسات الحكومية، أما الثانية فهي الإسلام؛ أي

ارتكاز التحرك الشعبي على أساس الفكر الإسلامي والشريعة الإسلامية.

إنه لأمر طبيعي إذا قامت حكومة شعبية في بلدٍ أغلبية أبنائه من المسلمين والمؤمنين الملتزمين العاملين بالإسلام، وقد أثبتوا عمق إيمانهم وعبّروا عنه على مر التاريخ، أن تكون حكومة إسلامية.

إن الشعب يريد الإسلام وذاك ما صدع به منذ اليوم الأول وخضع للتجربة على مدى سنوات طوال؛ ومن أجلى الحقائق التي ترتسم على نظامنا الآن هي أن جماهير شعبنا تريد للنظام الذي يحكم البلاد أن يكون إسلامياً بعمله ويعمل على بسط الإسلام في المجتمع.

بهذا العنوان قامت هذه الحكومة وهذا النظام وأعلن عنهما أمام الملأ وحظيا بتصويت الشعب، وفي واقع الأمر فقد صوَّتَ الشعب ـ كما أسلفت ـ لصالح الإسلام، لأنه وجد سيماء الإسلام في إسم الجمهورية الإسلامية؛ فكان أن أدلى برأيه في صناديق الاقتراع لصالح عنوان الجمهورية الإسلامية.

الجمهورية الإسلامية في إيران .. إسمٌ على مسمّى

لم يكن العالم يعرف مثل هذا النظام الذي لم يكن ذا سابقةٍ حتى ذلك اليوم؛ كانت هنالك دولاً آسيوية وأفريقية قد سبقتنا في حمل عنوان الجمهورية الإسلامية، ولعل هنالك سواء في الخارج أو الداخل من كانوا يتصورون للوهلة الأولى أن هذه الجمهورية الإسلامية على غرار هذه الجمهوريات الإسلامية التي أقيمت فيما سلف وهي إسلامية في ظاهرها لكنها لا تختلف عملياً عن الدول

غير الإسلامية، فلا مجلسها النيابي وجهازها التشريعي مكلفٌ بوضع القوانين على أساس الشريعة الإسلامية؛ ولا زعماؤها مكلفّون بنشر الإسلام؛ ولا شعوبها يراودها الأمل في أن تطبق هذه الدول الأحكام الإسلامية، وحسب علمنا فإن نظام الجمهورية الإسلامي الذي سبقتنا تلكما الدولتين في إقامته لا يختلف بالمرة مع الدول غير الإسلامية بل وحتى المناهضة للإسلام، فهي إسلامية بالاسم فقط، وربما توهم البعض أن الجمهورية الإسلامية في إيران ستكون على غرارهما إسماً خالياً من المسمى، ولكن ما إن مضت برهةٌ وجيزة وصير إلى تدوين دستور الجمهورية الإسلامية من قبل علماء الإسلام ومَنْ أمضوا عمراً مجاهدين في سبيل الدين وطائفة منهم كانوا من فقهاء الإسلام ومفكريه حتى اتضح أن هذه الجمهورية الإسلامية ذات حقيقية إسلامية وهي ماضية لأن تقود المجتمع وتخطوا به على أساس الفكر الإسلامي؛ وهنا بدأت الطوابير بتنظيم صفوفها لمواجهتها.

ربما يستذكر الدّين راقبوا الأوضاع عن كتب تفاعل نعرات العنف والمواجهة إزاء المبادئ الإسلامية تدريجياً خلال الفترة التي شرع فيها أول مجلس للخبراء بتدوين الدستور؛ فحتى ذلك الحين لم يُبد أحدٌ حساسيةً تجاه مفردة الإسلام والإسلامية والجمهورية الإسلامية؛ ولكن منذ ذلك الحين أخذت الزمر في الداخل وكذا الأبواق الإعلامية في الخارج بالتصدي للفكر الإسلامي إعلامياً حيث اتضحت إسلامية الجمهورية.

ديمقراطية الغرب والحكومات الشيوعية؛ طرز الحكم قبل الثورة

قبل ذل كان العالم قد جرَّب وعاصر لسنوات متمادية نمطين من الحكومات؛ أحدهما الديمقراطية الغربية، والآخر الحكومات الشيوعية؛ ولقد كان سائدٌ قديماً حكم السلاطين الذين سادوا بالاستبداد دون قانونٍ يحددهم، وإذا ما وجد القانون فهم الذين يضعونه، وإرادتهم هي صانعة القرار والحاكم المطلق بين الناس؛ وذاك طرازٌ رجعي قديم من الحكم وإن كانت ثمة بلدان يحكمها الآن مثل هذا الطراز من الحكم لكنه يأخذ صوراً ومسمّيات شتى، وكان بالذات يدار بهذا الأسلوب. بعد أن أفلحت الدول المعتقدة في الخلاص من هذا الاستبداد جرَّبت وعاصرت توعين من الحكم؛ أحدهما الديمقراطية الغربية الذي شاع في الدول الغربية والدول التي سارت في فلكها؛ أما الثاني فهي الحكومات الشيوعية التي أطلقت على أنفسها حكومة البروليتارية[1]، وإن وقف على رأسها الأعيان والأشراف وليس العمال؛ وكان يقف على رأس الهرم فيها حكام ومتجبرون لا فرق بينهم وبين أولئك الملوك والرؤساء الذين يختلفون معهم في الشاكلة!

---

(١) البروليتارية Proletariat استخدمت هذه الكلمة في المراحل التاريخية السابقة لتشير إلى الفئات الاجتماعية الفقيرة والمحرومة في المجتمع. وفي القرن التاسع عشر استخدم هذه الكلمة ماركس وأنغلز للدلالة على طبقة العمال الحديثين الذين لا يملكون وسائل إنتاج. ومن ثم هم مضطرون لبيع قوة عملهم إلى مالكي وسائل الإنتاج ـ الرأسماليين وبذلك يصيرون سلعة شبيهة بأي سلعة أخرى، ويتعرضون كسائر السلع إلى جميع نتائج المزاحمة وتقلبات السوق. والبروليتارية بالمفهوم الماركسي تختلف عن الطبقة العاملة التقليدية. فهي تضم فئات من جميع الشرائح الاجتماعية، وبرزت في فترة تفسخ النظام الإقطاعي وظهور المجتمع الرأسمالي.

جرف الجماهير نحو الغفلة والشهوات، أوجه الشبه بين الحكومات الغربية والشيوعية

لقد عاش المعسكران الشرقي والغربي مجابهةً مريرةً وعملية إلغاء للآخر؛ ولكن ما إن انبثقت الجمهورية الإسلامية ـ هذا الطراز الحديث من الحكم ـ حتى استحوذت الحيرة والرعب على كلا المعسكرين وهما يواجهان نظام الجمهورية الإسلامية! ما السبب في ذلك يا ترى؟ ما ذلك إلاّ للمزايا التي تحملها الجمهورية الإسلامية والرافضة لكلا النمطين من الحكم الرائجين في المعسكرين وترى خطرهما وضررهما لحياة البشر وتصدع بذلك أيضاً؛ وبعبارة أخرى فإن كلا النوعين من الحكم الذين راجا في الشرق والغرب كانت تجمعهما قواسم مشتركة وثقافة واحدة تسود بلدان المعسكرين؛ وتلك الثقافة عبارة عن جرف الجماهير نحو الغفلة وإطلاق العنان للشهوات والأهواء النفسية؛ وذاك ما كانت ولا زالت تستبطنه طريقتا الحكم، وهذه هي الثقافة التي تجمع بين الشرق والغرب

هدف الجمهورية الإسلامية تحقيق استقلالاً كاملاً للشعب

لقد أعلن الإسلام مخالفته تلك المشتركات وصرّح بأن حكومة الجمهورية الإسلامية هي التي تكفل الاستقلال التام للشعب في ظلّها، وهذا الاستقلال يشمل الاستقلال السياسي والاقتصادي والأهم من ذلك كله الاستقلال الثقافي؛ أي إن الجمهورية لم يقنعها إقامة حكومة تتميز باستقلالها عن القوى الكبرى، بل كانت تلك الخطوة الأولى، فالدول التي تنال الاستقلال، فإن الخطوة الأولى

في طريق الاستقلال يتمثل في تحقيق استقلالية نظامها السياسي؛ أي إقامة الحكومة المستقلة عن نفوذ القوى الأجنبية.

ولم تكتف ـ الجمهورية الإسلامية ـ بالتحرك باتجاه تحقيق الاستقلال الاقتصادي الأكثر تعقيداً والأبطأ منالاً من الاستقلال السياسي، فإنكم تشاهدون صعوبة قطع مفاصل النفوذ والهيمنة الاقتصادية للقوى والدول الأجنبية، فالبلد الذي يحاول التحرك باتجاه الاستقلال الاقتصادي بحاجة للقوى الإنسانية الكفوءة والمصادر التي تدر عليه دخلاً؛ والإمكانيات الطائلة، والعلم والاختصاص؛ والتعاون العلمي والفني على الصعيد الدولي، وأمور أخرى كثيرة؛ والدول الثورية وحديثة العهد بالاستقلال تواجه المشاق والمتاعب لنيل هذه المقدمات وأدوات الاستقلال الاقتصادي.

ومنذ الوهلة الأولى سار بلدنا في طريق الاستقلال الاقتصادي. صحيحٌ أن تسلط الحكومات الذيلية قبل الثورة كرّسَ اقتصاداً تابعاً للغرب وبالذات لأمريكا في بلادنا واستئصال هذه الجذور في غاية الصعوبة، غير أن هذه الجذور قد جرى استئصالها واستطعنا سلوك طريق الاستقلال الاقتصادي.

لا زالت أمامنا هوة شاسعة لبلوغ استقلال اقتصادي كامل

هنالك ـ بطبيعة الحال ـ هوّة شاسعة أمامنا حتى نبلغ الاستقلال الاقتصادي التام؛ ويتعين على أبناء الشعب مواصلة العمل؛ وعلى الشبيبة المضي في الدراسة؛ وعلى ذوي التخصص بذل المزيد من الجهود؛ ومن لهم القدرة على

بذلك العون في سبيل هذا الهدف الوطني، عليهم المبادرة إلى ذلك.

إن الاستقلال الاقتصادي يعد ضرورة ملحة بالنسبة لأي بلد؛ فلئن ارتبطت المفاصل الاقتصادية للبلد بالأجانب فذلك يعني توقف الشرايين التي تغذي حياة هذا الكيان على منبع آخر، وبهذا يكون الخيار بيد طرفٍ آخر.

لقد كانت معظم الدول الثورية في القرن الحاضر ميّالة نحو المعسكر الشرقي؛ إذ كانت تستعين بالقوى والدول الشرقية ـ فعندما قامت الثورة الصينية ـ على سبيل المثال ـ بقي الاتحاد السوفيتي ـ الذي كان يعد الأخ الأكبر للصين ويسبقها في ثورته الاشتراكية ـ يقدّم لها الدعم الاقتصادي والفني ويزوّدها بالمتخصصين والخبراء لمدة عشر سنوات بل أكثر؛ وهكذا كان حال سائر الدول الشيوعية، بيد أن الجمهورية الإسلامية اعتمدت على الإرادة الصلبة لجماهيرها والمواهب المتألقة للشعب الإيراني لاستئصال حبال التبعية في اقتصادها، فلقد سار شعبنا ـ ويسير ـ في طريق الاستقلال الاقتصادي، والخطط كلّها تصب في هذا الاتجاه أيضاً والحمد لله.

الاستقلال الثقافي أهم من الاستقلال السياسي والاقتصادي

بيد أن أهم من ذلك كله هو الاستقلال الثقافي، ولقد أثبتت الجمهورية الإسلامية منذ البداية أنها لن تركع أمام الثقافة الغربية الفاسدة المنحطة، وإنني أقولها بأن الهيمنة الحقيقية الكبرى هي الهيمنة الثقافية، أي لو أفلحت أمةٌ في بسط ثقافتها وعقائدها وأعرافها وعادتها وفي مرحلة متقدمة لغتها وخطّها على

أمة أخرى فقد تحققت لها الهيمنة عليها وهي هيمنة حقيقية؛ وهذا ما لجأ إليه الفرنسيون في بعض البلدان خلال فترة من القرنين الماضيين وتلاهم الإنجليز، وها هم الأمريكان قد مارسوا ذلك أيضاً خلال السنوات المتأخرة، أي إنهم صدّروا لغتهم وخطهم وثقافتهم ونمط حياتهم إلى من قدروا عليه من البلدان، ولو أن بلداً كان مستقلاً من الناحية الاقتصادية وفاكّاً ارتباطه بالقوى الكبرى غير أن للقوى الكبرى القدرة على دسّ ثقافتها إلى هذا البلد فإنها بذلك تكون قد هيمنت عليه.

إن مثل الثقافة كالماء والهواء، والثقافة هي العادات والتقاليد السائدة على حياتنا أنا وأنتم؛ وهي تعني عقائدنا وقناعاتنا وتلك الأمور التي نواجهها في حياتنا الفردية والاجتماعية وداخل البيت والوسط الوظيفي في المجتمع.

لقد حدد الإسلام للمسلين في تكليفهم في المعاشرة، في الحياة الفردية؛ في الأكل والشرب وفي الملبس وفي الدراسة؛ وفي علاقتهم مع الحكومة؛ والعلاقات مع بعضهم وفي معاملاتهم، ونحن لا نريد تعلّم ذلك من الغربيين وتقلديهم به، وهذا ما صدعت به الجمهورية الإسلامية منذ البداية.

الجمهورية الإسلامية تواجه مفاسد الغرب

الشائع في الغرب العلاقات المتحللة بين المرأة والرجل، والمتعارف عليه عندهم غياب الحجاب وما يحول بين الرجل والمرأة في الحياة العامة؛ ولا ندعي هنا فساد الرجال أو النساء جميعاً في الدول الغربية ولا نلصق بهم هذا

الاتهام، فهو مما لا حقيقة له؛ إذ من بينهم هناك رجالاً ونساءً يتميزون بنجابتهم وعفتهم، بيد أن الحرية الجنسية هي السائدة في المجتمعات الغربية؛ وهي بالنسبة إليهم تمثل ثقافة، إذ إن حرية الغريزة الجنسية أمرٌ تبيحه وتحلله الثقافة الغربية ولا تفرض عليه قيوداً أو شروطاً.

وقد قطعت بعض الدول الغربية أشواطاً بعيدة في هذا المجال وأغرقوا حياتهم في وحلٍ يبعث على الخجل وهم نادمون عليه بطبيعة الحال؛ لأنه أدى إلى تخبط مفكري الغرب وسياسييهم ومن بيدهم زمام الأمور في الدول الغربية وسبّب في بروز المشاكل أمامهم.

الغرب هو الذي صدَّر هذه الثقافة وهذه الأخلاق والعادات إلى كافة البلدان الأخرى، فلم يكن في تلك البلدان مثل هذا الفساد ولم تشهد الدول الإسلامية بل وحتى غير الإسلامية من دول الشرق مثل هذا الفساد، وإنما الغربيون هم الذين جاؤوا به إليها.

لقد وقفت الجمهورية الإسلامية بوجه هذه المفاسد وأعلنت منذ البداية رفضها للعلاقات المتحللة بين الرجل والمرأة، بل هي تؤمن بوجوب سيادة الحجاب والعلاقات الإسلامية بين الرجل والمرأة وثبتت على ذلك أيضاً. إن البعض يرى أن هذه مسألة فرعية وثانوية، وهم خاطئون في ذلك بل هي مسألة في غاية الأهمية.

معارضتنا للثقافة الغربية هي السبب في عداء الحكومات الغربية لنا

أقول هنا أن هذه القضية أبرز دواعي المعارضة المريرة والعدائية التي تبديها الحكومات الغربية إزاء الجمهورية الإسلامية، فهم يبدون حساسية فائقة حيالها، ولو أبدت الجمهورية الإسلامية قليلاً من التهاون بخصوص هذه القضية وسمحت بشيوع ثقافة التحلل الغربية على صعيد العلاقة المريضة التي تربط بين الجنسين في المجتمع؛ لكان قد خفّت حدة الكثير من مظاهر المعارضة التي تبديها المحافل السياسية وغير السياسية في الغرب إزاء الجمهورية الإسلامية أو لانتفت بعضها من الوجود.

إنكم شهود على أنهم قد فرضوا السفور ردحاً ما في بلدنا هذا ولم يكن هنالك من معترض في العالم فيسألهم: لمَ تفرضون السفور؟! وفي البلد الجار تركيا فرضوا السفور أيضاً وتواصل هذا الإجبار من قبل بعض الحكومات المتعاقبة في تركيا ـ وكنموذج عليه المشاهد التي وقعت خلال السنوات المتأخرة ـ ولكن ليس في الدنيا من يعبّر عن احتجاجه!

والأنكى من ذلك أن الدول الأوربية ـ أي فرنسا وبريطانيا ـ التي تدّعي التقدمية وتزعم في وسائلها الإعلامية الاهتمام بقضايا حقوق الإنسان وحرية التعبير عن الرأي بالنسبة لبني البشر لم تسمح لبضع من الفتيات المسلمات من دخول المدارس مرتديات للحجاب! فهنا يبيحون الإجبار والإرغام؛ لكنهم على الجانب الآخر يرون فيه مؤاخذةً وخللاً فيعترضون على الجمهورية لأنها تفرض الحجاب في المجتمع! لو كان فرض نمطٍ معينٍ من الزيّ على النساء يعد أمراً

مؤاخذاً عليه فإن مؤاخذته أفظع من فرض الحجاب لأن الأخير أقرب إلى الصحة، فعلى الأقل يُفترض النظر إلى الاثنين على حدٍّ سواء، وهذا ما لا يعمل به الغرب.

إن الغرب يوجه انتقاده للجمهورية الإسلامية كدولة لأنها تفرض شكلاً معيناً من الزي النسائي لكنه لا ينتقد تلك الدول التي تفرض العُري والتبرج بين المرأة والرجل! لِمَ ذلك يا ترى؟ إنه يتعارض مع الثقافة الغربية الشائعة في العالم، وهم حساسون جداً لهذه القضية، فالغرب يشعر بحساسية شديدة إزاء رواج المشروبات الكحولية ويعتبرها من النقاط الإيجابية لدى الشعوب وتقاليدها وأعرافها، والغربيون يشعرون بالحساسية إن مَنعَ بلدٌ ما تداول المشروبات الكحولية وعاقب على تعاطيها ويعتبرونه بلداً رجعياً، لكنهم لا يبدون أية حساسية إن أباح بلدٌ المشروبات الكحولية وأطلقها، بل يثنون عليه!

الغرب تجمعه علاقات حسنة مع الحكومات التي تفتقد أبسط قواعد الديمقراطية!

إن فرض شتى أنماط الحياة على الشعوب مباح لدى الغربيين ولا مؤاخذة عليه ما دام لا يتعارض مع الثقافة الغربية، وقد تكرر القول منا إن الغرب تجمعه علاقات حسنة مع دول وبلدان تعوزها أبسط القواعد الديمقراطية! فانظروا منطقة الخليج الفارسي سترون بلداناً لا انتخابات فيها ولا مجلساً تشريعياً ولا الشعب منها هو الذي ينتخب زعيم البلاد ـ بل الانتخاب وارثياً على غررا ما كان يجري في عهد دقيانوس! ـ وليس البرلمان وأعضاؤه الذين يسنّون القوانين

في البلاد، الأمير أو السلطان هو الذي يضعها؛ ولكن أياً من الحكومات الغربية أو المحافل التي جرى تشكيلها للدفاع عن حقوق الإنسان والحريات وتعمل من اجلها لم تبدٍ حساسيةً تُذكر إزاءها!

يجري هذا في وقت تمتلك الجمهورية الإسلامية في إيران أكثر البرلمانات استقلالاً وقوة، فمن النادر ـ أو لأقُل ـ لن تجدوا في أي بلدٍ من بلدان العالم برلماناً يضاهي مجلس الشورى الإسلامي في استقلاليته وقوته، إذ إن البرلمانات التي تخضع لإدارة الأحزاب إنما يكون العضو فيها تابعاً لوجهة نظر الحزب؛ ولا وجود للعمل الحزبي هنا بل وإنما هي أجنحة سياسية لا سلطة لأيّ منها على وجهة نظر العضو في المجلس، فهو حرٌّ مستقل في خياره؛ فهل من برلمانٍ في العالم يضاهي هذا المجلس؟

الجمهورية الإسلامية انتخابات حرية، برلمانٌ مستقل، حكومة شعبية

الانتخابات الحرة التي تجري لانتخاب رئيس الجمهورية مما قل نظيرها في العالم؛ فالجماهير هي التي تتوجه نحو صناديق الاقتراع دون أن تتأثر أذهانها بفعل الدعاية الحزبية فتنتخب مَنْ عرفته وخبرته ليتصدى لرئاسة الجمهورية ردحاً من الزمن، فأين مثل هذا عالمياً؟

وانتخابات رئاسة الجمهورية التي تجري في بعض البلدان إنما تتولاها الأحزاب ولا معرفة للشعب بالمرشح لرئاسة الجمهورية أبداً! فالحزب هو الذي يقدم المرشح وحيث إن الشعب يؤمن أو يجب أن يرتضي ذلك الحزب أو

تحدوه دوافع أخرى؛ ينتخب ذلك المرشح رئيساً للجمهورية، بيد أن الحال ليس كذلك هنا. إذن في الجمهورية الإسلامية الانتخابات هي الأكثر حريّة، والمجلس النيابي الأكثر استقلالية، والحكومة الأكثر شعبية.

المسؤولون عندنا تجمعهم بالشعب وشيجة صميمية وقريبة، وهم يعتبرون أنفسهم خدماً له ويكنّون له المودة؛ وحياة مسؤولي البلاد بسيطة وشعبية وليس بيروقراطية كتلك التي يحياها المسؤولون في سائر بلدان العالم.

مثل هذا البلد بما فيه من حكومة جماهيرية وانتخابات حرّة لأنه يعارض الغرب بثقافته فإن هذا الغرب الديمقراطي ليس على استعداد لمشاهدة نقاط الضعف! هذه في الجمهورية الإسلامية! وما ذلك إلاّ لما أعلنته الجمهورية الإسلامية منذ البداية من أنها لن ترتضي ثقافة الغرب الدخيلة.

عداء الغرب والشرق للإسلام كان الدافع وراء دعمهم للنظام العراقي

بهذه المزايا أعلنت الجمهورية الإسلامية عن انبثاقها يوم الثاني عشر من فروردين عام ١٣٥٨ هـ.ش وهي اليوم تواصل مسيرتها وتكاملها وتناميها باضطرار بعد أحد عشر عاماً بالرغم من عداء القوى المناهضة للإسلام لهذه الجمهورية، وعلى مدى هذه السنين طالما صرَّحنا بأن الدعم الذي قدَّمه الغرب والشرق للجيش والنظام العراقي في حربه المفروضة إنما كان لرعبهم من الإسلام والعداء له، وهذا ما أعلنّاه مراراً على مدى سنوات عديدة من على منبر صلاة الجمعة هذا وغيره من الأماكن؛ ولعل البعض كان يشق عليهم الاقتناع

بذلك، غير أن الإعلام العالمي أخذ يصرح به الآن، فها هي الصحافة والوكالات الخبرية تبوح بهذه القضية علناً، ففي الأخبار المتداولة خلال الأسبوعين الأخيرين أعلنت وكالات الأنباء والصحافة والمنابر الخبرية أن الغرب إنما قدم دعمه للعراق خوفاً ورعباً من الإسلام الثوري يحول بذلك دون تحقيق الجمهورية الإسلامية لنصر عسكري في الحرب وبالتالي تقصي العراق من الساحة؛ وهكذا يعترفون ويقرّون بهذه القضية.

لقد وقفت الجمهورية الإسلامية بوجه هذا العداء والتخرص بكل صلابة وثبات، ولم تهن أمامها، بل أضحت أكثر قوة، وبعثت الصحوة في صفوف المسلمين خارج إطار حدودها. وها نحن نشهد هذه الصحوة لدى المسلمين، ولطالما صرَّحنا ونؤكد الآن أن هذا العصر هو عصر تقدم وصحوة وانتصار الإسلام والمسلمين وما ذلك إلاّ بفضل الجمهورية الإسلامية.

عناصر نجاح الشعب الإيراني والجمهورية الإسلامية

تتخلص عناصر النجاح الذي حققه الشعب الإيراني والجمهورية الإسلامية خلال السنوات الإحدى عشر هذه في عدة أمور، هي التمسك بالإسلام، القيادة الفريدة لإمامنا الراحل العظيم قُدِّسَ سِرُّه، جهادكم وتضحياتكم أنتم أيها الشعب؛ جهل الأعداء بأسرار العقائد الإسلامية؛ ولا زال العدو على جهله هذا، فيما لما يزل هذا الإيمان والحمد لله ونشاهد هذه التضحيات، فواصلوا هذه الدرب في ظل وحدة الكلمة، فالعالم يترقبكم.

يجب أن نبني بلداً وفق النموذج الإسلامي

كنت أود الحديث حول بعض العناصر والخطوط المناهضة للجمهورية الإسلامية في داخل البلاد وخارجها، لكنني آثرت تأجيلها إلى فرصة أخرى لضيق الوقت، بيد إنني أقول لكم مرة أخرى يا جماهير شعبنا المجاهد المؤمن، إن هذا المشعل الوضّاء ـ الإسلام ـ الذي رفعتموه سيزداد توهجاً وألقاً وستزداد أنظار الدنيا انجذاباً نحوكم وذلك بفضل اتحادكم وشجاعتكم وإيمانكم بالإسلام وعدم رهبتكم من الأعداء، وهذه هي نقاط القوة في الجمهورية الإسلامية التي دأب الشعب الإيراني على المحافظة عليها والحمد لله وسيظل محافظاً عليها، فواصلوا طريقكم متوكلين على الله واثقين به.

علينا أن نبني البلد وفقاً للنموذج الإسلامي، وهو ذات الشيء الذي يرهبه العدو؛ وليعلم الغيارى على الإسلام والجمهورية الإسلامية أننا ومنذ الآن يتعين علينا أن نثبت بشكل عملي وملموس للعالم التأثير الذي تركه جهادنا وتفانينا على واقع حياتنا.

إن لسنوات الحرب الثمانية آثاراً تفوق هذه الفترة، إذ يطول المقام للتعويض عن الدمار والخسائر التي خلفتها الحرب، وليس الأمر يتلخص في انتهاء كلّ المشاكل بتوقف الحرب، ناهيك عن أن جبابرة الاستكبار العالمي ما برحوا ينوون توجيه ضربةٍ للجمهورية الإسلامية،؛ فعلينا التزام الحيطة.

ولكن بالرغم من ذلك كله، فنظراً لأن شعبنا شعب حيّ ونِعَم الله ومواهبه

على بلدنا وشعبنا سابغة وعظيمة، ولأن إمكانياتنا وافرة وشبابنا وشعبنا أغنياء بمواهبهم وذكائهم وقابلياتهم ومنعمون بكفاءاتهم والحمد لله ـ وهذا ما سجلّه التاريخ فيما سلف وفي الوقت الراهن ـ فإننا نعيش الأمل في أن يفلح هذا الشعب يتقدمه مسؤولو البلاد وكوادرها في تشييد صرح الجمهورية الإسلامية مادياً ومعنوياً بما يخلق الشوق والاندفاع والمحبة نحو الإسلام.

على الجميع السير خلف مسؤولي البلاد في هذه المرحلة ـ مرحلة إعمار الوطن ـ التي تعد جهاداً عظيماً متزودين بوحدة الكلمة وروح التفاني، ويجب أن يرفع المجتمع لواء العلم والصناعة والرقي والحرية والمعنويات والعبودية لله وراية الدين وتعاليمه في ربوع المعمورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿والعصر* إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته